كتاب دانيال - العدد الثلاثون

ساعة الخوف

Jeff Pippenger
2023-12-25

إن خوف بلشصر من الكتابة الغامضة لا يتناول موته ونهاية المملكة السادسة في نبوءات الكتاب المقدس فحسب، بل يشير أيضاً إلى النقطة في التاريخ النبوي التي يستولي فيها الخوف على ملوك الأرض. وخوفهم تسببه "ريح الشرق" للإسلام. وخوفهم كمرأة في المخاض، مما يدل على وجع يتزايد تدريجياً ويأتي بوتيرة تتسارع أكثر فأكثر. يبدأ الخوف عند "ساعة" وليمة بلشصر، مع أنه حلّ أولاً في 11 سبتمبر/أيلول 2001. ومنذ ذلك الحين فصاعداً تبدأ الرياح بالانفلات من بين أيدي الملائكة الأربعة الذين يمسكون بها أثناء زمن الختم للمئة والأربعة والأربعين ألفاً. المرثاة على صور التي يوردها حزقيال تعرّف صور بطرح السؤال النبوي: "أيّة مدينة مثل صور، كالمدمّرة في وسط البحر؟"

> رنّمت لك سفن ترشيش في سوقك؛ فامتلأتِ وتمجّدتِ جدًا في وسط البحار. قادكِ مجذفوكِ إلى مياه عظيمة؛ قد حطّمتك ريح شرقية في وسط البحار. ثروتك وأسواقك وتجارَتك، وملاّحوك وربابنتك، ومرقّعو شقوق سفنك، ومتّجرو بضاعتك، وجميع رجال حربك الذين فيك، وكل جماعتك التي في وسطك، يسقطون في وسط البحار في يوم هلاكك. وترتجف الضواحي لصوت صراخ ربابنتك. وكل ممسكي المجداف، والملاّحين، وجميع ربابنة البحر، ينزلون من سفنهم، ويقفون على الأرض؛ ويرفعون أصواتهم عليك، ويصرخون بمرارة، ويرشّون ترابًا على رؤوسهم، ويتدحرجون في الرماد. ويجعلون أنفسهم صلعًا لأجلك، ويتمنطقون بالمسوح، ويبكون عليك بمرارة قلب ونحيب مرّ. وفي نوحهم يرفعون عليك مرثاة، ويندبونك قائلين: أي مدينة مثل صور، كالمخرّبة في وسط البحر؟ عندما خرجت سلعك من البحار، ملأتِ شعوبًا كثيرة؛ وأغنيتِ ملوك الأرض بكثرة ثروتك وتجارَتك. في الوقت الذي تنكسرين فيه بالبحار في أعماق المياه، تسقط تجارتك وكل جماعتك التي في وسطك. يتحيّر جميع سكان الجزر فيك، وملوكهم يرتعدون جدًا، وتضطرب ملامحهم. ويصفر عليك تجار الشعوب؛ وتصيرين فزعًا، ولا تكونين بعد إلى الأبد. حزقيال 27:25-36.

صور هي المدينة، أو المملكة، التي يبكي عليها تجار الأرض بمرارة، ثم يسألون: «أي مدينة مثل صور؟» يفعلون ذلك في «الزمان» حين تُحطّم المدينة في البحر. في الإصحاح الثامن عشر من سفر الرؤيا، زانيةُ صور، التي هي زانيةُ روما، التي زنت مع ملوك الأرض وتُعرَف بأنها تلك المدينة العظيمة التي يأتي قضاؤها في ساعة واحدة، وفي يوم واحد. إنها المدينة التي تثير السؤال النبوي لدى الملوك والتجار النائحين.

> لذلك ستأتي ضرباتها في يوم واحد: الموت والحِداد والجوع، وستُحرَق بالنار احتراقًا تامًا، لأن الرب الإله الذي يدينها قوي. وملوك الأرض الذين زنوا وتنعّموا معها سيندبونها وينوحون عليها عندما يرون دخان احتراقها، واقفين من بعيد خوفًا من عذابها، قائلين: ويلاً، ويلاً لتلك المدينة العظيمة، بابل، المدينة القوية! لأنه في ساعة واحدة جاءت دينونتك. وتجار الأرض سيبكون وينوحون عليها، لأنه لم يعد أحد يشتري سلعهم بعد الآن: سلع الذهب والفضة والأحجار الكريمة واللآلئ والكتان الناعم والأرجوان والحرير والقرمز، وكل عود ثين، وكل آنية من العاج على أنواعها، وكل آنية من أخشاب نفيسة جدًا، ومن النحاس والحديد والرخام، والقرفة والأطياب والمراهم واللبان والخمر والزيت والدقيق الناعم والحنطة والبهائم والغنم والخيول والمركبات والعبيد ونفوس الناس. والثمار التي اشتهتها نفسك قد زالت عنك، وذهب عنك كل ما كان شهيًا ونفيسًا، ولن تجديها بعد الآن أبدًا. تجار هذه الأشياء الذين استغنوا بها سيقفون من بعيد خوفًا من عذابها، باكين ومولولين، ويقولون: ويلاً، ويلاً لتلك المدينة العظيمة التي كانت متسربلة بكتان ناعم وأرجوان وقرمز، ومتزينة

> بالذهب والأحجار الكريمة واللآلئ! لأنه في ساعة واحدة بادت ثروات عظيمة كهذه. وكل رُبّان، وجميع الذين في السفن، والبحارة، وكل من يتّجر في البحر، وقفوا من بعيد، وصرخوا حين رأوا دخان احتراقها قائلين: أية مدينة تشبه هذه المدينة العظيمة! وألقوا تراباً على رؤوسهم، وصرخوا باكين مولولين، قائلين: ويلاً، ويلاً لتلك المدينة العظيمة التي استغنى بها كل من له سفن في البحر بسبب نفاستها! لأنه في ساعة واحدة قد صارت خراباً. رؤيا 18:8-19.

إن فتح أختام سفر رؤيا يسوع المسيح يتضمن رسالة صرخة نصف الليل. تلك الرسالة هي النبوءة الثانية في حزقيال الإصحاح السابع والثلاثين، التي تُحيي العظام اليابسة الميتة التي مكثت في الشوارع ثلاثة أيام ونصف، لتقوم كجيش عظيم. وتتضمن تلك الرسالة الحقيقةَ أن الرب يستخدم الإسلام لإنزال الدينونة التنفيذية على الولايات المتحدة بسبب فرض الأحد. وتصل تلك الدينونة في "الساعة" الخاصة بالزلزال العظيم، وهي أيضًا "الساعة" التي ظهرت فيها الكتابة على حائط بلشاصر. وقد أوجدت تلك الكتابة الخوف الذي يُمثّل بأنه يستولي على جميع الملوك والتجار حين تُسقَط البنية الاقتصادية لكوكب الأرض بوساطة "الريح الشرقية" للإسلام، الذي تسلل خفيةً إلى مملكة بلشاصر عبر "السور" السفلي المُهمَل إلى الجنوب.

إن «المدينة» أو المملكة التي ينوح عليها الملوك والتجار ويسألون: «أيّة مدينة تشبه هذه المدينة العظيمة؟» هي مملكة زانية صور، التي كانت حينئذٍ تغني أغانيها وتزني مع أولئك الملوك أنفسهم. جميع الأنبياء يتكلمون عن نهاية العالم وهم متفقون فيما بينهم، لذلك فإن تجار حزقيال هم أنفسهم التجار المذكورون في سفر الرؤيا الإصحاح الثامن عشر. ثلاث مرات في سفر الرؤيا الإصحاح الثامن عشر ينوحون قائلين: «ويلاً، ويلاً»، إذ تُسقَط المدينة العظيمة وتُقوّض البنية المالية لكوكب الأرض. الكلمة اليونانية المترجمة «ويلاً» في هذا المقطع هي نفسها الكلمة التي تُرجمت ثلاث مرات في سفر الرؤيا الإصحاح الثامن والآية الثالثة عشرة، لكنها هناك تُرجمت بكلمة إنجليزية مختلفة.

> ونظرتُ وسمعتُ ملاكًا طائرًا في وسط السماء، قائلاً بصوت عظيم: ويلٌ، ويلٌ، ويلٌ للساكنين على الأرض، من أجل بقية أصوات بوق الملائكة الثلاثة الذين لم يبوقوا بعد! رؤيا 8:13.

الملوك والتجّار يندبون دمار اقتصاد العالم بقولهم: «وا حسرتاه، وا حسرتاه»، أي «ويلٌ، ويلٌ»، وكلمة «الويل» رمزٌ للإسلام. الخوف الذي استولى على بلشاصر وأمرائه عندما ظهرت الكتابة على الحائط هو الخوف الناتج عندما يُدمّر الهيكل الاقتصادي لكوكب الأرض بفعل الهجمات المتواصلة من قِبَل الإسلام، التي يستخدمها الله كأداة لعنايته ليُجري قضاؤه التنفيذي على الذين يشربون خمر بابل، أي فرض الأحد. هذه الحقيقة هي موضوع «وحي» إشعياء الإصحاح الثالث والعشرين عن زانية «صور».

> وحي من جهة صور. ولولوا يا سفن ترشيش، لأنها قد خربت حتى لا بيتَ ولا مدخل. من أرض كتّيم أُعلن لهم. اسكتي يا سكان الساحل، أنتِ التي ملأكِ تُجّار صيدون العابرون البحر. وبالمياه الكثيرة كان زرعُ شيحور، حصادُ النهر رزقَها؛ وكانت سوقَ الأمم. اخجلي يا صيدون، لأن البحر قد تكلّم، قوةُ البحر، قائلاً: لم أتمخّض ولم أَلِد، ولم أُرَبِّ شباناً ولم أُنْشِئ عذارى. كما عند الخبر عن مصر يتوجّعون، هكذا يتوجّعون عند خبر صور. اعبروا إلى ترشيش، ولولوا يا سكان الساحل. أهذه مدينتكم المبتهجة، التي قِدَمُها من أيام قديمة؟ قدماها تحملانها بعيداً لتتغرّب. من قضى بهذه المشورة على صور، المُكلِّلة، التي تُجّارها رؤساء، ومبايعوها أشراف الأرض؟ ربُّ الجنود قد قصد ذلك، ليدنّس كبرياء كل مجد، وليجعل كل أشراف الأرض محتَقَرين. اعبري أرضك كالنهر يا ابنة ترشيش؛ فلا قوّة بعدُ. مدّ يده على البحر، فزلزل الممالك. قد أعطى الرب أمراً على المدينة التاجرة بإهلاك حصونها. وقال: لا تعودي تفرحين، أيتها العذراء المظلومة، ابنة صيدون. قومي، اعبري إلى كتّيم، فهناك أيضاً لا يكون لكِ راحة. هوذا أرض الكلدانيين؛ هذا الشعب لم يكن، أقامه الآشوري لأهل البرية. أقاموا أبراجهم، وشادوا قصورهم، فجعلها خراباً. ولولوا يا سفن ترشيش، لأن قوتكم قد خربت. ويكون في ذلك اليوم أن صور تُنسى سبعين سنة، كأيام ملك واحد. عند نهاية السبعين

سنة تغنّي صور كالزانية. خذي عوداً، وطوفي في المدينة، أيتها الزانية المنسيّة. ألحني لحناً حسناً، وأكثري الغناء لكي تُذكري. ويكون بعد نهاية السبعين سنة أن الرب سيفتقد صور، فترجع إلى أجرها، وتزني مع جميع ممالك العالم على وجه الأرض. وتكون تجارتها وأُجرتها قدساً للرب: لا تُكنَز ولا تُخزَن، لأن تجارتها تكون للساكنين أمام الرب، لأكل الشِبَع ولباس متين. إشعياء 23: 1-18

السبعون سنة، التي هي كـ"أيام ملك واحد"، تمثّلها مملكة بابل، لأن الملك يرمز إلى المملكة، وقد حكمت بابل حرفياً سبعين سنة. انتهت السبعون سنة لبابل الحرفية في "الساعة" التي ظهرت فيها الكتابة على جدران قاعة ولائم بلشاصر. في تلك الليلة نفسها قُتل، بقوة جاءت عبر "الجدار" من غير أن يلحظها أحد، إذ كان يقيم حفلة يشرب فيها خمر بابل، بينما كانت أوركسترا نبوخذنصر تعزف الموسيقى، وكانت زانية صور تغنّي اللحن العذب، وكان إسرائيل المرتد يرقص وينحني.

ثم استولى الخوف على جميع المعنيين، لأن الله كان قد "أخذ مشورةً ضد صور" و"قصد" "أن يدنّس كبرياء كل مجد، وأن يجعل جميع كرام الأرض موضع ازدراء." لذلك "زلزل الله الممالك" بـ"الزلزال العظيم" في تلك "الساعة"، لأن الله كان قد "أصدر أمرًا ضد" مملكة "التاجر"، "ليُخرّب معاقلها." في "ساعة" خوف بيلشاصر، بدأ الملوك والتجار البحث لفهم معنى الكلمات النارية على الحائط. كان موت بيلشاصر وشيكًا، لكنه في تلك اللحظة كان لا يزال حيًّا. لذلك سعى إلى فهم الكلمات الغامضة وعرض مكافآت على الحكماء إن استطاعوا تفسير الكتابة، لكن ذلك لم يكن ممكنًا، لأن حكماء بابل يستخدمون منهجية للدراسة الكتابية كانت تزييفًا للحق. والكلمات الغامضة كرؤيا كتاب مختوم.

حينئذ دخل جميع حكماء الملك، فلم يقدروا أن يقرأوا الكتابة ولا أن يعرّفوا الملك تفسيرها. فاضطرب الملك بيلشاصر جدًا، وتغيّر وجهه، وتحير عظماؤه. وبسبب كلام الملك وعظمائه دخلت الملكة إلى بيت الوليمة، فقالت الملكة: أيها الملك، عش إلى الأبد. لا تفزعك أفكارك، ولا يتغيّر وجهك. في مملكتك رجل فيه روح الآلهة القدّوسين، وفي أيام أبيك وُجد فيه نور وفهم وحكمة كحكمة الآلهة، الذي أقامه الملك نبوخذنصّر أبوك، الملك، أقول: أبوك، رئيسًا على المجوس والمنجّمين والكلدانيين والعرافين؛ إذ وُجد في ذلك دانيال روح فائق ومعرفة وفهم، وتعبير الأحلام، وإظهار المسائل العسرة، وحلّ العُقَد، الذي سمّاه الملك بلطشاصر. فالآن لِيُدعَ دانيال فيُظهر التفسير. حينئذ أُتي بدانيال إلى أمام الملك. فكلم الملك وقال لدانيال: أأنت دانيال من بني سبي يهوذا الذي أخرجه الملك أبي من أرض يهوذا؟ وقد سمعت عنك أن روح الآلهة فيك، وأن النور والفهم والحكمة الممتازة توجد فيك. والآن قد أُحضر الحكماء والمنجّمون أمامي ليقرأوا هذه الكتابة ويُعرّفوني تفسيرها، فلم يستطيعوا أن يبيّنوا تفسير الأمر. وقد سمعت عنك أنك تستطيع أن تفسّر وتحلّ العُقَد. فالآن إن قدرت أن تقرأ الكتابة وتُعرّفني تفسيرها، تُلبس الأرجوان، وتكون لك سلسلة من ذهب في عنقك، وتكون ثالثًا في المملكة. دانيال 5: 8-16.

لم تكن الملكة في القصر زوجة بلشاصر، بل ملكة جده، وكانت تعلم من يستطيع قراءة الكتابة على الحائط. كانت هناك كنيسة (إذ تُعتبر المرأة، نبويًا، كنيسة) في المملكة، وكانت تعلم من يستطيع فهم أسرار الله.

كان في القصر امرأة أحكم منهم جميعا — ملكة جد بلشاصر. وفي هذه الشدة خاطبت الملك بكلمات بعثت شعاعا من النور في الظلمة. قالت: يا أيها الملك، عش إلى الأبد، لا تفزعك أفكارك، ولا تتغير هيئتك. إن في مملكتك رجلا فيه روح الآلهة القدوسة؛ وفي أيام أبيك وجد فيه نور وفهم وحكمة كحكمة الآلهة؛ الذي أقامه الملك نبوخذنصر، أبوك، الملك — أقول، أبوك — سيدا على السحرة والمنجمين والكلدانيين والعرافين؛ ... فالآن فليستدع دانيال فيظهر التفسير.

'حينئذٍ أُدخل دانيال إلى حضرة الملك.' وإذ كان بلشاصر يحاول أن يتماسك ويُظهر سلطانه، قال: 'أأنت ذاك دانيال من بني سبي يهوذا الذي أخرجه الملك، أبي، من يهوذا؟ لقد سمعت عنك أيضاً أن روح الآلهة فيك، وأن النور والفهم والحكمة الفائقة توجد فيك... والآن، إن استطعت أن تقرأ

الكتابة وتبيّن لي تفسيرها، تُلبَس الأرجوان، وتكون لك سلسلة من ذهب على عنقك، وتكون الحاكم الثالث في المملكة.'

لم يرهب دانيال منظر الملك، ولم يرتبك أو يتهيب كلامه. قال: لتكن عطاياك لك، وأعطِ أجورك لغيرك؛ ولكني سأقرأ الكتابة للملك وأبين له التفسير. أيها الملك، إن الله العلي أعطى أباك نبوخذنصر مملكة وجلالاً ومجداً وكرامة... ولكن لما ارتفع قلبه، وقسا عقله بالكبرياء، عُزل عن كرسي ملكه، ونُزع عنه مجده... وأنت يا بيلشاصر ابنه، لم تُذلّ قلبك، مع أنك عرفت كل هذا، بل تعظّمت على إله السماء؛ فأُحضرت آنية بيته أمامك، فشربتَ أنت وعظماؤك ونساؤك وسراريك فيها، وسبّحت آلهة من فضة وذهب ونحاس وحديد وخشب وحجر، التي لا تبصر ولا تسمع ولا تعرف؛ وأما الله الذي بيده نسمة حياتك، وله جميع طرقك، فلم تمجّده.

هذه هي الكتابة التي كُتبت: منا، منا، تقيل، وفرسن. وهذا تفسير الكلام: منا: قد أحصى الله ملكك وأنهاه. تقيل: وُزنتَ في الموازين فوُجدت ناقصاً. فرس: انقسمت مملكتك وأُعطيت لمادي وفارس.

لم يحِد دانيال عن واجبه. عرض أمام الملك خطيئته، مبيّنًا له الدروس التي كان يمكن أن يتعلمها لكنه لم يفعل. لم يُصغِ بيلشاصر إلى الأحداث ذات الأهمية البالغة بالنسبة إليه. ولم يقرأ تاريخ جدّه قراءة صحيحة. لقد وُضعت على عاتقه مسؤولية معرفة الحق، لكن الدرس العملي الذي كان يمكن أن يتعلمه ويعمل به لم يضعه في قلبه؛ وأفضى مساره إلى النتيجة المحتومة.

كانت هذه آخر وليمة للتباهي أقامها الملك الكلداني؛ لأن الذي يطيل الأناة على اعوجاج الإنسان قد أصدر الحكم الذي لا رجعة فيه. لقد أساء بلشاصر إساءة عظيمة إلى الذي رفعه إلى المُلك، ورُفِعَت عنه مهلة الاختبار. وبينما كان الملك وعظماؤه في ذروة لهوهم وعربدتهم، حوّل الفرس مجرى الفرات وزحفوا إلى المدينة غير المحروسة. وفيما كان بلشاصر وأشرافه يشربون من آنية يهوه المقدسة ويمجّدون آلهتهم من الفضة والذهب، وقف كورش وجنوده تحت أسوار القصر. "في تلك الليلة"، كما يذكر السجل، "قُتِل بلشاصر ملك الكلدانيين. وتسلّم داريوس المادي المُلك." صدى الكتاب المقدس، 2 مايو 1898.

في خضم الأزمة، أدركت الملكة (كنيسة) وجود مصدر يمكنه أن يكشف عن "America for America" يقف دانيال مرة أخرى في قرعته ليتمّم مقصده في نهاية الأيام. إن شهادة الراية التي قُدِّمت في أتون النار على يد شدرخ وميشخ وعبدنغو تُقدّم الآن على يد دانيال، إذ يضيف إلى خط الحق أنه في "الساعة" الخاصة بأزمة قانون الأحد سيُقاد الذين يمثلون الراية إلى أمام سلطات الدولة للشهادة للحق.

«سيسلمونكم إلى مجالس، ... بل وستُقادون أمام ولاة وملوك من أجلي، شهادةً لهم وللأمم.» متى 10: 17، 18، R. V. سيُشيع الاضطهاد النور. سيُؤتى بخدّام المسيح إلى عظماء العالم الذين، لولا هذا، ربما لم يسمعوا الإنجيل قط. لقد شُوِّهت الحقيقة أمام هؤلاء الرجال. لقد استمعوا إلى اتهامات باطلة بشأن إيمان تلاميذ المسيح. وغالبًا ما تكون وسيلتهم الوحيدة لمعرفة حقيقتها شهادةَ أولئك الذين يُقتادون إلى المحاكمة من أجل إيمانهم. وفي أثناء الاستجواب يُلزم هؤلاء بالإجابة، ويُلزم قضاتهم بالاستماع إلى الشهادة المقدّمة. ستُمنَح نعمة الله لعبيده لمواجهة الظرف الطارئ. يقول يسوع: «يُعطى لكم في تلك الساعة ما تتكلمون به. لأنكم لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم.» ومتى أنار روحُ الله عقولَ عبيده، ستُعرَض الحقيقة بقوتها الإلهية ونفاستها. والذين يرفضون الحق سيقفون لاتهام التلاميذ واضطهادهم. ولكن، في وسط الخسارة والمعاناة حتى الموت، ينبغي لأبناء الرب أن يُظهروا وداعة مثالهم الإلهي. وهكذا سيُرى التباين بين أعوان الشيطان وممثلي المسيح. وسيُرفَع المخلِّص أمام الحكّام والشعب.» مشتهى الأجيال، 354.

وكما هو الحال مع الثلاثة الفضلاء، لم يكن دانيال مهتمًا بأي هدايا، ولم يكن بحاجة إلى التدرّب على ما سيقوله. قدّم ببساطة شديدة تفسير «المرات السبع» الممثّلة على الحائط.

سنواصل قصة بلشاصر في المقال التالي.

> "الذين ليسوا أمناء في عمل الله يفتقرون إلى المبادئ؛ فدوافعهم ليست من النوع الذي يحملهم على اختيار الصواب في جميع الظروف. ينبغي لخدّام الله أن يشعروا في كل حين أنهم تحت نظر صاحب عملهم. إن الذي راقب الوليمة المُدنِّسة للمقدسات التي أقامها بيلشاصر حاضر في جميع مؤسساتنا، في مكتب حسابات التاجر، في الورشة الخاصة؛ واليد التي بلا دم تُسجّل إهمالك باليقين نفسه الذي سجّلت به الحكم المروّع على ذلك الملك المجدِّف. لقد كُتبت إدانة بيلشاصر بكلمات من نار، 'وُزِنتَ بالموازين فوُجدتَ ناقصًا'؛ وإن أخفقتَ في الوفاء بالتزاماتك التي منحك الله إياها فستكون إدانتك هي ذاتها." رسائل إلى الشباب، 229.